أفكار للبيع

من يشتري فكرة؟ لدي أفكار رهيبة لكتابة روايات، قصص قصيرة، قصص طويلة، متتاليات!

يتنقل بين المنتديات الأدبية حاملاً بضاعته. يعرض جزءًا منها في صندوق الرسائل الخاصة، ويحصل على ثمنها في مكان يُتفق عليه يسلمها فيه كاملة.

في ذلك المساء، غمرته بهجة خرافية تخللها الجشع عندما وقع على صيدٍ ثمين هذه المرة؛ "عطية الزلباني"، أشهر أديب في مصر هاته الأيام، الأديب الذي تبيع رواياته نسخًا بالملايين.

في البداية، تردد كثيرًا في الكشف له عن سر مهنته، قدم رجلاً وأخر الأخرى، تلعثم وتخوف، كان يخشى أن يكون عطية الزلباني من الكتاب الشرفاء لا قدر الله! أو أنه لا سمح الله من هؤلاء الذين يتمتعون بموهبة حقيقية، صقلوها بتجربة عصامية لم يعتمدوا فيها على أمثاله.

كان عطية مثلاً أعلى في عينيه، وها هو يتهاوى من عليائه. كيف لا؟ وهو سمير الشرنوبي من طبقت شهرته وإغراءاته الآفاق من تحت "الطربيزة"! لا يقف أمامه شرف، ولا يصمد أمام أفكاره ضميرٌ ميت ولا حي، على حدٍ سواء. باستطاعته أن يُغوي أعتى العتاولة العظماء من العصاميين والشرفاء، الذين شقوا طريقهم بأنفسهم في عالم الأدب.

ولكنّ شريف أتعبه جدًا هذه المرة، كان يرغب في فكرة غير تقليدية، فكرة لم يؤتَ بمثلها من قبل، لا في الشرق ولا في الغرب. وهذا ما جعل يد الشرنوبي يُسقط فيها، إذ من أين له هو بائع الأفكار العظيم بأفكار جديدة غير مسبوقة لا في الهُنا، ولا في الهناك!

لقد قضّى عمره في قراءة الروايات، والآداب العالمية الحديثة والقديمة، المترجمة وبلغتها الأصلية، المشهورة والمغمورة، بغية انتقاء المناسب منها لبيعه وتسويقه! قد يبيع الفكرة بحذافيرها، وهذا يحدث عندما تكون مغمورة في بلدها المنتج فما بالك في بلدنا نحن! وقد يبيعها مطعمة بأجزاء مقتطعة من أفكارٍ أخرى، تقل أو تكثر حتى تشبه لوحة فسيفساء.

لا بائع أفكارٍ آخر يضاهي سمير في مهارته الفنية. في عمليتي الانتقاء، والقص واللصق، فهو متميز في مجاله.

في تلك الليلة لوّح له الزلباني بقبضة يده مهددًا إن هو لم يطور الفكرة التي أعطاها له، فيجعلها أكثر جدة وإثارة. أخبره أنه سيمنع عنه باقي المبلغ، ولكن الشرنوبي بدوره لم يسكت على هذه الإهانة، لقد أقسم أن يفضحه فضيحة حرامي الأحذية بين الأدباء! فما كان من الزلباني إلا أن تقهقر وتوتر، ووضع يده على رأسه متحسسًا شيئًا ما من فوق طاولة المطعم التي كان يجلس عليها، وهو يتخيل، أنّ الأنظار كلها كانت موجهة إليه في هذه اللحظة. وقد صدق حدسُه، فابتسم على حين فجأة، وأخرج شيكًا دسه في يد الشرنوبي خلسة. مسح فمه بمنديله، ودفع الحساب، وخرج ماضيًا في طريقه متجهًا نحو سيارته في غمٍ وكدر.